للسياسة علاقة وطيدة بالشعر، فقد ارتبط الشعر العربي برؤية الشاعر منذ العصر الجاهلي وكانت القبيلة العربية هي الصورة المصغرة للدولة والشاعر لسان حال هاته القبيلة، وهو الذي يرفع مكانتها بين القبائل العربية، "فالشاعر كان في الجاهلية هو صحيفة قبيلته السياسية وصحيفة نفسه أحيانا أخرى"[1] . وقد برزت في العصر الأموي أحزاب وكتل سياسية مختلفة فكان لكل حزب وطائفة سياسية شاعرها وملهمها، وامتزج الأدب بالسياسة في العصر العباسي وما بعده إلى عصرنا الحالي فطوال هاته الفترات الأدبية والتاريخية برز الشعر السياسي إذ كان له دورا هاما في التأثير في المتلقي سواء كان من الحكام أو من عامة الناس .

من بين هؤلاء الشعراء الذين تأثروا بالتيارات والأحداث السياسية المعاصرة في الوطن العربي الشاعرة العراقية نازك الملائكة رائدة الشعر الحر، ولا يشك أحد في دور هاته الشاعرة في المسيرة الشعرية العربية حيث أنها أسست لحركة الشعر العربي المعاصر، والمنظرة لقواعد الشعر الحر، لكن هذا لا يعني أن دورها انحصر في التجديد الشكلي والإيقاعي للشعر العربي، فقد تميز شعرها أيضا بالانفتاح على قضايا وجودية وفلسفية وعلى أسئلة الموت والحياة، كما أنها تأثرت بأحداث السياسية في بلدها العراق و في الوطن العربي إذ نجدها تفاعلت مع كل قضية ومع كل حدث، ويذكر محمد راضي جعفر " أن للشعراء الرواد دورهم في خدمة مجتمعهم السياسي دفاعا عن حقوق الوطن والأمة، وهم وإن اختلفت وسائلهم، وتباينت وجهات نظرهم حول المنهج والأداة، إلا أن عملهم السياسي تجوهر في خدمة مصلحة الجماعة وفي الوقت الذي تشابهت فيه بدايات السياب والبياتي وبلندالإلتزام بتنظيم سياسي محدد فإن تجربة نازك تخطت التنظيم الحزبي إلى أفق وطني وقومي أشمل "[2]، ونلمس ذلك في بعض القصائد التي نظمتها فقد عايشت حرب فلسطين الأولى وانهزام العرب سنه 1948 بإعلان قيام دولة إسرائيل، كما شهدت حلف بغداد سنة 1955 الذي قوبل بالرفض من طرف العراقيين، ثم ثورة تموز سنة 1958 إذ نظمت بمناسبة هذا الحدث قصيدة عنوتها بـ " تحية للجمهورية العراقية " في ديوانها "شجرة القمر"، وأكدت بذلك أنها على الرغم ما هي فيه من سوداوية معنية بما يجري في العالم العربي من أحداث، وهي أحداث كانت بمجملها مأسوية.

موقف الشاعرة من ثورة 14 تموز :

تعد ثورة 14 تموز 1958 أهم حدث سياسي غيَّر مسار الحكم في العراق بالقضاء على الحكم الملكي، فقد لاقى فيه أفراد الأسرة المالكة حتفهم في بغداد على يد العسكريين وأعلن عن ميلاد الحكم الجمهوري وقد نظمت نازك الملائكة قصيدة عن هذا الحدث السياسي مطلعها :

«فرحُ الأيتامِ بضمة حُبٍ أبويّه
فرحةُ عطشانٍ ذاقَ الماء
فرحة تموزَ بلمسِ نسائمَ ثلجيّه
فرحُ الظلماتِ بنبع ضياءٍ
فرحتنا بالجمهوريّه»[3]

تفتتح الشاعرة قصيدتها بالفرح الذي غمر الشعب العراقي إثر إعلان الجمهورية، من خلال تشبيهه باليتيم المفتقد لحنان وحب الأبكناية عن الحكم المستبد، فبعد ثورة تموز المباركة وسقوط النظام الملكي تلاشى ذلك الافتقاد بضم واحتضان الشعب للنظام الجمهوري والترحيب به .و أن الشعب ارتوى بعد الضمأ من خلال قولها :" **فرحة عطشان ذاق الماء** "، فالشعب كان

يتوق للحرية وقد نالها بعد الثورة، ورغم حرارة شهر تموز التي يتميز بها عن سائر شهور السنة فإن الشعب العراقي لم يشعر بهافي تلك السنة بسبب الفرحة العارمة وكأنه في شهر من شهور الشتاءالباردة،وتتفائل بهذا الشهر لأن تموز حسب الأساطير البابلية رمز لإعادة الحياة والخصوبة والنماء لجسد الطبيعة . كما تتحدث عن التحول الإيجابي الذي برز في العبارات التي وظفتهاكالظلمات والضياء، هذا التوظيف بين نظرتها التفاؤلية، وبعد اجتناء ثمرة الحرية والثورة على الطغيان تتخوف نازك من فقدانها وتحذر الشعب من الأعداء من داخل العراق وخارجه في قولها :

في أضلعنا يا وردتنا الجمهورية

في أعيننا نامي فلصوص الورد كثار

أعداء العطر العابق تجار الأزهار

أيقظ عطرك فيهم أشواقا ذئبية

السوق صحا يا ورد حذار

من نقمته الصهيونية

ومخالبه الأمريكية[4]

حذرت الشاعرة العراقيين من مغبة اللصوص سارقي الحرية، وبخطر الأمريكيين والصهاينة فهي في هذه القصيدة نجحت في أن تكون مرايا تعكس من خلالها الواقع العربي، وكأنها تنبأت بما سيحدث للعراقيين لاحقا، وهي بذلك تجعل المتلقي إزاء قراءة جديدة لواقع الوطن العربي في يومنا هذا .

موقف الشاعرة من القضية الفلسطينية :

نجد أن أهم الأحداث السياسية لفلسطين في مقدمة القضايا العربية التي اهتم بها منجزها الشعري، لأن الشاعرة عايشت المأساة الفلسطينية، وتأثرت بكل حدث فكتبت عدة قصائد تفصح فيها عن أحزانها لما حل بالوطن العربي من نكبات مثل : ضياع القدس ومن بين هذه القصائد قصيدة"ثلاثأغنيات"تقول في الأغنية الثالثة والتي عنونتها بـ" النسر المطعون:

حيثُ النخيلُ السامقُ المزدهي حيثُ الصحارى المُحرِقات الرّمال

حيثُ الينابيعُ و كاساتُها تقطرُ شهداً و تغذّي التلال

وحيثُ أغنيّاتُ أنهارنا تشدو بها شِفاهُ ريحِ الشِمال[5]

فالقصيدة تكاد تكون قصة من حيث أسلوب الوصف، عن طريق تصوير المناظر الطبيعية في أرجاء الوطن العربي وبتنوع تضاريسه من صحاري وتلال وأنهار وهي عبارة عن تمهيد قصصي،وبعد أن تسرد فيه جمال ومحاسن وخيرات البلاد العربية تضيف قائلة:

هناكَ ألقى طائرٌ ظلّهُضخماً، إلهيّاً تحدّى ألمحال[6]

لم تذكرالشاعرة نوع الطائر في النص فقد صرحت به في العنوان، والنسر هو شعار العديد من الدول العربيةوهي مصر واليمن وليبيا وفلسطين وسوريا والعراق، وكان هذا الطائر هو رمز الدولة الأيوبية منذ عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ويدل

على الانتصارات العربية آنذاك كما يرمز إلى القوة والشموخ والكبرياء.وتوظيف الشاعرة هذا الرمز يدل على وعيها الحضاري والثقافي للأمة العربية الإسلامية كما تعمد إلى هز عروش الذاكرة وإيقاظ الضمير العربي من خلال قولها :

جنحاه مبسوطان فوق المدى من الخليج للمحيط السحيق

في كبرياء الريش تحيا ذرى واعصر يقظى مجد عريق[7]

تتخذ نازك الملائكة من النسر رمزا للوطن العربي والذي بسط جناحيه من الخليج للمحيط دلالة على امتداد وكبر هذا الوطن كما تقوم باستحضار أمجاد العرب الغابرة وانتصاراتهم لمواجهة الحاضر، لأن هذا النسر لم يلبث شامخا فقد طعن من العدو ويتجلى ذلك في قولها :

في قلبه النابض قد أغمدوا رمحا غليظ الخد خشن الشفاه

من صدره الحر يغدي الثرى والورد يستنبته من دماه

يا رمح اسرائيل مهما ارتوى من جنحه من روحه من مناه[8]

تصور لنا الشاعرة النسر وقد طعن برمح في قلبه وجهته له اسرائيل ففلسطين هي قلب الأمة العربية، وعلى الرغم من الكبوة التي لاقها هذا العملاق، تتفاءل بقرب التخلص من هذا العدو الجائر في قولها :

يافا وحيفا في غدٍ نلتقيفنحن والضوءُ على موعدِ

تبقى فلسطينُ لنا نغمةًقدسيّةً على فمِ المُنشِدِ

و نسرُنا الشامخُ لن ينثنيأمام بابِ الزمنِ الموصَدِ

غداً فلسطينُ لنا كلّهاكأنَّ إسرائيلَ لم توجَدِ[9]

يافا وحيفا مدينتين فلسطينيتن استولت عليهما اسرائيل إلى جانب مدن أخرى وضمتهما إلى كيانها،والشاعرة في هاته الأبيات تحاول أن تستنهض الهمم من خلال ذكر أسماء المدن التاريخية،كما تحرض على النضال والجهاد وتتوعد إسرائيل بأن الشعب العربي لن يكل ولن يمل في سبيل استرجاع فلسطين وكسب قضيتها وتتنبأ بأن الكيان الإسرائيلي زائل لا محالة .

موقف الشاعرة من الثورة الجزائرية:

وقفت الشعوب العربية منذبداية الثورة الجزائرية صفا واحدا داعمة لها ومساندة للشعب الجزائري في كفاحه، والتفوا حول الثورة في مشارق الأرض ومغاربها يدعمونها بجميع الوسائل يقول عثمان سعدي :" كان دور الكلمة كبيرا، وراح الصحفيون والشعراء والكتاب يدعمون بأقلامهم الثورة، بحيث يكاد لا يخلو عدد أو صحيفة ومجلة صدرت في أثناء قيام الثورة من مقال أو قصيد يتغنى فيها شاعرها بأمجادها ..."[10] . ونالت الثورة الجزائرية و مناضليها حيزا كبيرا في شعر نازك الملائكة وكانت قصيدة "سنا ثورة" أول قصيدة نظمتها نازك الملائكة حولها إذ تقول :

في سفوح الجبال، تحت ذرى

الأشجار، خلف الضياء والظلماء

ليس غير الموتى عظاما وأشلاء

وغير إكتابة وبكاء

يا نشيد الجزائر يا ساكنا في قعر

أحلامنا وراء منانا

رف فوق الدنيا الحزينة

وابعث لحن الحب في تيهنا ودجانا[11]

كان شهر أغسطس من سنة 1955 قد أنار القلم وأثبت أن الشعب الجزائري عازم على تحرير بلده من الاستعمار فقد قام الشهيد زيغود يوسف وبقيادة المجاهدين في هذا التاريخ أي 20 أغسطس(أوت) 1955 بضرب العدو في معاقله، وأشعلوها نارا حامية عليه،هللت الشاعرة العراقية لهذا الانتصار واعتبرته بداية موفقة للثورة، وبعد اعتقال المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد على يد سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر وجدت الشاعرة نفسها مجبرة على دعم قضيتها معنويا من خلال نظم قصيدة « نحنُ و جميلة » تقول فيها :

جميلة ! تبكين خلف المسافات , خلف البلاد

وترخين شعرك كفّك دمعك فوق الوساد

أتبكين أنت ؟ أتبكي جميلة ؟

أما منحوك اللحونَ السخيات و الأغنيات؟

أما طعموك حروفاً ؟ أما بذلوا الكلمات؟[12]

وصفت الشاعرة نازك الملائكة بالإنطوائية من قبل الأدباء والنقاد إلا أن المطلع على قصائدهافي الشعر السياسي يجد أنها لم تكتف بالأحداث التي ذكرنا آنفا فقد نظمت قصائد في العديد من الأحداث العربية الأخرى كإعلان ميثاق الوحدة العربية في القاهرة سنه 1963 وتعامل أنور السادات مع الصهاينة، فلم تكن الشاعرة بمعزل عن مشكلات عصرها وقضاياها العربية، فقد وعت أحداثها وتجاوبت مع الصدامات التي طرأت على الساحة العربية، فقد آمنت بأن العمل الفني هو مشاركة فعالة في واقع الحياة "فالشعر هو وقود المعركة تقودها الإنسانية نحو الحياة والسعادة والاستمرار "[13].

الهوامش:

1. ينظر : عزالدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر، قضاياه ، دار الفكر العربي ،ط3 ص 13.
2. محمد راضي جعفر ، الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد)، منشورات اتحاد كتاب العرب ، 1999.
3. نازك الملائكة ، الديوان ، دار العودة ، بيروت ، 1997، ج 2ص 445.
4. المصدر نفسه ،ص449
5. المصدر نفسه ،ص496
6. المصدر نفسه ،ص496
7. المصدر نفسه ،ص497
8. المصدر نفسه ،ص497
9. المصدر نفسه ،ص 498
10. عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، المكتبة الوطنية ، بغداد ، 1981

11. نازك الملائكة ، الديوان ،ص 505
12. المصدر نفسه ، ص 505
13. ميخائيل امطانيوس ، دراسات في الشعر العربي الحديث وفق المنهج الديالكتيكي ، ص20